بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تؤكد كثير من الدراسات التربوية والاقتصادية على ظاهرة التخلف التى يعانى منها عالمنا العربى والإسلامى فى ميدان الإعداد والتدريب الحرفى والمهنى والتكنولوجى . ويكفى أن نشير هنا إلى بعض الحقائق ذات الدلالة العالية فى هذا الصدد منها : أن أكثر من نصف الأراضى العربية القابلة للزراعة غير مستثمرة ، وأن استيراد الغذاء من الخارج ما زال يمثل قسطا كبيراً فى الموازين التجارية للأقطار العربية ، وأن كثيرا من صناعاتنا مستوردة أو تقوم الخبرة الأجنبية بتصميمها وتأسيسها وصيانتها ، وأننا نعانى من عجز تجارى ، يظهر بوضوح وبنسب متفاوتة فى ميزان المدفوعات ، والأرقام الفلكية المزعجة للقروض والديون الأجنبية التى يرزح تحت عبئها معظم الدول العربية غير البترولية . يضاف إلى ذلك كله ما تتسم به إنتاجية العامل فى شتى مجالات الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى والخدمى ، من انخفاض مستوى الأداء بصورة واضحة . ويزيد تلك الصورة قتامة ما يعانى منه المجتمع العربى بصفة عامة من جميع أشكال البطالة المقنعة والظاهرة (١) .

وإذا كانت معظم الدراسات والبحوث التربوية والاقتصادية تتبنى أسلوب ضرورة الأخذ عن الغرب فى تربيتنا المهنية والتكنولوجية ، كوسيلة وحيدة للخروج من هذا المأزق التربوى والاقتصادى ، فإن الدراسة الحالية تتبنى وجهة نظر مغايرة ، وهى ضرورة الأخذ بأروع ما فى تراثنا التربوى الإسلامى من اتجاه حرفى ومهنى ، يستمد أصوله وروافضه من القرآن والسنة ، وأن هذا المنطلق الإسلامى سوف يوفر لتلك الأمة الدافع القوى للانطلاق الحضارى ، كما أنه فى نفس الوقت سوف يعصم هذا الانطلاق من كل انحراف وعبودية للحياة الدنيا على حساب الاستقامة والطهارة والقرب من الله .

والباحث فى تلك الدراسة وهو يؤكد على ضرورة العودة إلى استلهام تراثنا التربوى الإسلامى فى استنبات مهننا وحرفنا وتكنولوجيتنا ، لا يغفل إطلاقا ضرورة الأخذ من حضارة العصر وتكنولوجيته « فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » فى بحوث التربية الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

بها » ،ولكنه يحذر من السير نحو التحضر بساق واحدة : الاعتماد على ساق السلف ، أو الاعتماد على ساق العصر، والأصوب أن نسير نحو تحضرنا الإسلامى بالساقين معا ؛ الأولى تضرب فى أعظم مواريثنا الحضارية ، والثانية مرتكزة على أعظم ما وصل إليه العصر من علوم وتكنولوجيا ، كل ذلك فى ضوء تعاليم الإسلام من قرآن وسنة .

ولكى يبرز الباحث هذا المعنى ويؤكده فقد تناول فى رسالته :« مكانة الحرف والمهن فى الإسلام » وكيف حث الإسلام ـ قرآنا وسنة ـ على العمل بجميع أنواعه الزراعية والصناعية والتجارية والخدمية ، وكيف مارس الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون والصحابة رضوان الله عليهم شتى أنواع الحرف والمهن فى عصورهم . ثم عقد فصلين متتالين عن الأصول النظرية والاجتماعية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام ، ناقش فيهما الدوافع المختلفة التى تدفع المسلم إلى العمل ، والنظرة الإسلامية للعمل وللعمران ، وأبرز اختلاف العمران الإسلامى عن العمران الغربى الحديث المقترن بالظلم وتلويث البيئة والإسراف ، ثم تناول بعض الحرف والمهن التى نهى عنها الإسلام تأكيدا على خصوصية العمران الإسلامى وقيامه على الطيبات واجتناب الخبائث .

وحتى يعطى القارئ صورة عن تعدد الحرف والمهن عند المسلمين ، فقد عرَّض لبعض التصنيفات المختلفة للحرف والمهن عند علماء المسلمين ؛مثل الغزالى ـ الشيرازى ـ ابن الأخوة ـ ابن بسام ـ ابن خلدون ـ الكتانى ، وغيرهم ، وهى تصانيف توضح كيف تعددت تلك الحرف والمهن ، وكيف أمدت المجتمع الإسلامى بكل ما يحتاجه من أنواع الطيبات ، بحيث أغنته عن سواه من المجتمعات ، بل كان مجتمعا منتجا أكثر منه مستهلكا ، وموردا أكثر منه مستوردا ، وظل كذلك طوال عصور الازدهار الإسلامى .

ولكى يرد تلك الحركة المزدهرة فى مجال الحرف والمهن إلى أصولها الإسلامية الثابتة ـ القرآن والسنة ـ فقد عقد فصلين للحديث عن المهن والحرف فى القرآن والسنة ، خص كلا منهما بفصل تناول فيه كل ما ورد من أحاديث وآيات تتعلق بشتى أنواع الحرف والمهن ، لفتا لأهمية تلك الحرف والمهن ، وحثا على الأخذ بها . ولقد كانت تلك النصوص دافعا قويا دفع المسلمين فى شتى عصور الازدهار الإسلامى إلى مزيد من التفوق والإبداع والعطاء فى شتى المجالات الحرفية والمهنية .

وحتى يبرز الفارق الهائل بين العمران الإسلامى والحضارة الإسلامية وغيرها من مظاهر العمران والتحضر ، فقد ركز على الجانب الأخلاقى في العمران الإسلامى ، ولذا عقد الفصل الأخير من الرسالة لمناقشة أخلاقيات الحرف والمهن فى الإسلام ، وأثر

تلك الأخلاقيات على ممارسة تلك المهن والحرف .

والرسالة بذلك كله ، وبما تميزت به من الاعتماد على المراجع الأصلية ، تلبى حاجة قوية من حاجات المجتمعات الإسلامية إلى ضرورة الاستفادة من تراثنا التربوى الإسلامى فى تشييد صرح حضارتنا الإسلامية المعاصرة . وكان الباحث بتلك الرسالة ينضم إلى قافلة الدعاة إلى عودة الأمة إلى جذورها الحضارية فى شتى المجالات .

فأمام واقعنا الحرفى والمهنى المتردى ، فإن صاحب تلك الرسالة الحالية يرى ضرورة استنفار روح العمل الإسلامية وما تمثله من إعلاء لقيمة العمل وإتقانه ، مع ضرورة الأخذ بأخلاقيات المهن والحرف فى الإسلام ، والعودة إلى الحكم الشرعى الذى يلزم المجتمع بالاكتفاء الذاتى ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلا ـ فى شتى الحرف والصناعات ، كفرض كفاية يأثم المجتمع كله بالتفريط فى القيام به ، راضيا بالتبعية الاقتصادية فى زراعته وصناعته وتجارته . وهذه الروح الإسلامية القوية تسرى فى معظم صفحات الرسالة ، وهو ما أسعدنى خلال فترة إشرافى على تلك الرسالة ، حتى تمت إجازتها بحمد الله من كلية التربية جامعة المنصورة .والرسالة بذلك كله تستحق القراءة المتأنية وتبشر بأعمال علمية أكثر عمقا ونضجا للباحث فى المستقبل القريب بإذن الله ، والله وحده هو الموفق .

المدينة المنورة فى ١ / ٢ / ١٤٢٠ هـ

د . عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

أستاذ أصول التربية الإسلامية بكلية التربية

جامعة المنصورة

والمعار حاليا إلى كلية التربية

جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة